الإصـــلاح بـــيـــن النَّـــاس

الخـــطـــبة الأولى ١٤١٢/٥/٢هـــ ، ١٤٢٤/٦/٣هـــ

إن الحمد لله نحمده ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفـــسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشـــهد أن محمـــداً عبـــده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليماً.

أما بعد:فإن أعمال المسلم وأقواله ومعتقده الصحيح من العبـــادة الحقـــة المأمور بها في القرآن الكريم وفي حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن العبادة الإصلاح بمعناه الواسع الذي له سبل وطرق كثيرة، ولـــيس محصوراً فيما تعارف عليه الناس بأنه الإصـــلاح بـــين مُتَخَاصِـــمَيْنِ أو مُتَخَاصِمِينَ قَلُّوا أو كَثُرُوا، فالإصلاح له سبل كثيرة، ومطلوب من المسلم أو المسلمة المساهمة بما يستطيع ويقدر عليه من ذلـــك، فالـــدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإماطة الأذى عن الطريق والكلمـــة الطيبة والعمل الصالح أياً كان نوعه فيما يعود بالنفع على أفراد المجتمع أو الحيوانات أو الطيور أو غيرها وتعليم العلم النافع والإصلاح بين النـــاس كل ذلك وغيره من الأعمال التي يتقرب بها العبد إلى الله وينـــال عليهـــا الأجر من المولى عز وجل إذا صاحبها الإخلاص والصواب، وهـــي مـــن الإصلاح حقيقة ومن عمل المصلحين المخلصين الذين يهمّهم شأنُ أمّتهم ومجتمعهم ومن يعيشون معهم على هذه الأرض سواء كانوا في عـــصرهم

أو يأتون ويلحقون بهم فيما بعد، ذلك شأن المصلحين الساعين بالخير الذين يسعد بهم مجتمعهم مع سعادتهم هم أنفسهم بإذن الله عز وجل.

إن الهلاك لا يترل بقوم فيهم المصلحون، المصلح غير الصالح، فشتّان بين الصالح في نفسه الذي لا يتعدى نفعه إلى غيره وبين المصلح الذي هو صالح في نفسه ساعٍ للإصلاح في المجتمع فهو مصلح كما ذكر الله عز وجل عن المجرمين المفسدين في الأرض وعن المصلحين أيضاً فالله لا يهلك قرية كان أهلها مصلحين.قال تعالى:((**فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلاً مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ۗ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَآ أُتْرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾**)).[هود١١٦، ١١٧].فلنتنبه لقول الله تعالى (مصلحون) فلم يقل وأهلها صالحون، فالمصلح أَعَمُّ وأشمل وأنفع من الصالح في نفسه، لأن المصلح يسعى ويعمل جاهداً لإصلاح الناس وصلاحهم حتى تستقيم الأمور كما أمر الله عز وجل بأن يدعو إلى الله جل جلاله ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويهمه أمر المسلمين بعامة، وقد ذكر الله عز وجل من أوصاف المنافقين وأهل الزيغ والفساد بأنهم مفسدون في الأرض مع ادعائهم الإصلاح وهم على النقيض من ذلك، قال تعالى:((**وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾**)).[البقرة:١١، ١٢]، وقال عَزَّ شأنُه:((**وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ**

﴿ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾﴾.[البقرة:٢٠٤-٢٠٦]، وعلى العكس من هذا الصنف ذكر الله عز وجل بعد هذه الآيات المتعددة عن هذا النوع بعدها مباشرة ذكر في آية واحدة المصلحين الذين يبيعون أنفسهم يبتغون ما عند الله جل وعلا،قال تعالى:﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾﴾.[البقرة:٢٠٧]، فمن الناس من يكون مفتاحاً للخير مغلاقاً للشر،ومنهم من يكون مفتاحاً للشر مغلاقاً للخير، وشتّان بين الفريقين وسيجازي الله كلاً بعمله ويوفيه حسابه،وهو يعلم سبحانه المفسدين من المصلحين.قال تعالى:﴿ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ ﴾[البقرة:٢٢٠].والذي يتمسك بالكتاب والسنة ويؤدي ما أوجب الله عليه ويقوم بها قولاً وعملاً واعتقاداً يُسَمَّى مصلحاً ولن يَضيعَ أجرُه عند الله وسوف يجزيه الله أحسن الجزاء.قال تعالى:﴿وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴾[الأعراف:١٧٠].

وموضوع الخطبة جزء من الإصلاح بمفهومه الشامل لمعنى الإصلاح الذي سبق الإيجاز عنه، فالموضوع هو الإصلاح بين الناس عموماً وأخص المسلمين المتعادين المتقاطعين سواء كانوا أفراداً أو أسراً أو جماعات أو قبائل أو دولاً وحكومات صغرت أم كبرت، وذلك هو المأمور به في الكتاب والسنة في آيات وأحاديث كثيرة.قال تعالى:﴿ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ﴾[الأنفال:١]، وقال تعالى:﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾.[الحجرات:١٠]، وفي الحديث الصحيح الذي أخرجه البخاري ومسلم رحمهما الله تعالى من رواية أبي هريرة رضي الله

عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:((**كل سُلامَى من الناس عليه صدقة كل يوم تطلع فيه الشمس، تعدل بين الاثنين صدقة، وتعين الرجل في دابته فتحمله عليها أو ترفع له عليها متاعه صدقة، والكلمة الطيبة صدقة، وبكل خطوة تمشيها إلى الصلاة صدقة، ودَلُّ الطريق صدقة، وتميط الأذى عن الطريق صدقة، ويكفي من ذلك ركعتان يركعهما من الضحى**)).فالشاهد من الحديث قوله صلى الله عليه وسلم:((**تعدل بين الاثنين صدقة**))حين قال بأن على كل مفصل في جسم كل إنسان صدقة في كل يوم تطلع فيه الشمس وذلك شكراً لله عز وجل على نعمه التي لا تعدّ ولا تحصى، فجعل الله طرق الخير متعددة وكثيرة من أجل كسب الحسنات بالأعمال الصالحة التي تُنال بها الدرجات الرفيعة. فتلك من الأشياء التي ذكرها الرسول صلى الله عليه وسلم من الصدقات التي يزكي بها الإنسان عن مفاصله وعظامه وجسمه كله، ويحمد بها ربّه لأداء كل عضو من أعضائه وظيفته،ذلك هو الإصلاح بين الاثنين والحكم بالعدل لا بالجور والظلم، وكان البدء به في أول الصدقات والحسنات وعمل الخيرات لأهميته.عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال:قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:((**ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة** ؟)) قالوا: بلى يا رسول الله،قال:((**إصلاح ذات البين، فإن فساد ذات البين هو الحالقة**)).وفي رواية: ((**إن فساد ذات البين هي الحالقة، لا أقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين**)).نعم إنها تحلق الدين وتذهب به لأن العناد والخصومة قد تؤدي إلى الكفر، وهذا أمر مشاهد وواقع في مجتمعات المسلمين عندما يذهب لُبُّ الخصمِ ولا يردعه إيمانُه فهو يُجَانِبُ الحق والعدل والإنصاف ولا يقول كلمة

الحق في الغضب والرضا بل يتكلم في خصمه بما يسوغ له من إلحاق التُّهم به والكذب عليه والبهتان وقول الزور والفحش والبذاءة وسَلاَطَة اللسان ونَشْر قَالَة السُّوء بين الناس كذباً وزوراً، وتحريض العامة عليه والتحرش بالمسلم واستفزازه لتدعيم باطله، ليخرج ذلك الباطلُ أمام الناس لابساً ثوب الحق، ومن جَهْل أو تجاهل الظالم لنفسه وغيره استطالته في عرض أخيه المسلم وتدبير المكائد ونَصْب شِبَاك الباطل في الخفاء وما يُبَـيِّتُهُ ويُضْمِرُهُ هو وأهل الباطل الذين يدفعونه إلى الشر دفعاً ليكون هو المنتصر وليظهر أمام الناس بأنه صاحب الحق ولو أدى ذلك إلى ارتكاب ما حرم الله، كل ذلك الذي جعله يقدم على هذه الأفعال الْمَشِينَةِ لَمَّا غاب عنه الخوفُ من الله ومن أليم عقابه، وما علم أنه وأعوانه الخاسرون في الدنيا والآخرة وأن الله لهم بالمرصاد، هذا شأن من يبيِّت سوءاً ويضمر عداوة ويحمل بين جنبيه قلباً أسودَ مِرْبَادّاً لاختلال إيمانه وضعف عقيدته وقلة حظه من الفقه في دينه، وهذه العلامة والصفة عَدَّها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من علامات النفاق حين عدّد صفات المنافق وقال:((**وإذا خاصم فجر**))،مع أنه ارتكب كل صفات النفاق التي عدها رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث وهي:((**إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان، وإذا خاصم فجر**)).أما المؤمن الحق فهو على العكس من ذلك لا يحمل الْغِلَّ والْحِقْدَ والبغضاء لسلامة صدره من ذلك، قلبه أبيض ناصع لا يَبِيتُ وفي قلبه على مسلم شيءٌ مما يجده الأعداء محترقاً متغلغلاً في سويداء قلوبهم. لا يَطِيشُ به عَقْلُهُ ولا يخرج عن العدل وقول الحق قَدْرَ

أَنْمُلَةٍ، مُنْصِفٌ فيما يقول ويُدْلِي به سواء كان الخصم غائباً أو حاضراً يخشى الله في سره وعلنه، لا يهمه أمر البشر، لأن إيمانه وخوفه من الله يردعه عن الوقوع فيما حرم الله، فهو ينتصب للدفاع عن نفسه ودفع الظلم عنه بالكلمة الصادقة والقول الحق العدل السديد، وقد يرتكب الطرفان الباطلَ حيث يصف كل منهم الطرف الآخر بما ليس فيه، وذلك هو واقع كثير من المسلمين اليوم عندما ابتعدوا عن الكتاب والسنة وتحكيمهما في حياتهم في كل صغيرة وكبيرة، فلعدم الإنصاف بين المتخاصمين وظلمهم لبعضهم ولعدم تَدَخُّلِ المصلحين بينهم امتلأت المحاكم والإدارات ذات العلاقة بالخصومات والدعاوى الكيدية، وفَشَا الظلم وانتشر،وساعدهم على ذلك المماطلةُ وعدمُ معرفة الحق ودراسته ومعرفة الحق من الباطل، أو الوقوف بجانب الباطل من قبل ضعاف النفوس،وتَدَخُّلُ جهات للفصل في الخصومات ليس لها علاقة شرعية حيث تعددت الاختصاصات وتباينت، والمعروف في الإسلام والواجب الذي يجب أن يكون التحاكم إليه هو الكتاب والسنة.ولنتدبر هذه الآية الكريمة التي تُـــنَالُ بها الدرجات الرفيعة بالحصول على الأجر العظيم الذي وعد الله به في نهاية الآية ولنتأمل فيها وفي غيرها ونعمل بالإصلاح بين الناس متى بلغتنا الخصومة والاختلاف، ومن لم يكن كذلك فالواجب عليه ألا يوسّع الخرق على الراقع ولا يسعى بالوشاية والإفساد بين الناس، بل يقل خيراً أو يصمت ويكفي الناسَ شرَّه وإفسادَه، وهذا أقل الواجب في حقه في هذه الحالات، مع أن بعض المفسدين يسعون بالوشاية والوقيعة

بين الناس والتحريش بينهم ولا يستريحون ولا يهدأ لهم بال إلا على هذا الحال وأمثاله فهم مثل الطفيليات والميكروبات والجراثيم والصراصير التي لا تعيش ولا تتكاثر إلا في محلات وأماكن العفن والقذارة والأوساخ والفساد، فكيف حالهم إذا وقعت الخصومة؟ إنها حَالٌ مُخْزِيَةٌ يندى لها جبين كل مسلم غيور على دينه وأمته من الاشتغال بالفتن والإِحَنِ بعضهم مع بعض. قال تعالى:((**لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا**))[النساء :١١٤]، أي لا خير في كثير مما يُسِرُّهُ القومُ ويتناجون به في الخفاء إلا إذا تناجوا في صدقة يعطونها سِرّاً أو أَمْرٍ بطاعة الله عموماً أو إصلاحٍ بين المتخاصمين في الدماء والأموال والأعراض وكل ما يقع فيه التداعي بين الناس،((**وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا** ۝)).أي من فعل هذه الخصال الطيبة بعدما أمر بها الناس فجمع بين الأمر بالخير وفعله مخلصاً لله في ذلك فله الأجر العظيم عند الله تعالى. وفي هذه الآية ترغيب عظيم في الإصلاح بين الناس وكذلك في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم المتفق عليه حين ذم الكذب والكذابين وَعَدَّ ذلك من صفات المنافقين ولكنه رَخَّصَ فيه إذا كان لا يمكن التوصل إلى الإصلاح بين المتخاصمين إلا عن طريقه أو أنه سوف تفسد العلاقة الزوجية إذا لم يكن إلا الكذب وسيلة لذلك لأته ينمي به الخير بين المتخاصمين.قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:((**ليس الكذاب الذي**

يصلح بين الناس فينمي خيراً أو يقول خيراً)).متفق عليه، ينمي خيراً:أي يبلِّغ وينقل خبراً فيه خير وإصلاح بين الناس.

ومن أنواع الإصلاح:الإصلاح بين الزوجين المختلفين، لأن الإصلاح بين الزوجين تُبْنَى عليه البيوت وتترابط به الأسر التي هي أسس المجتمعات البشرية، وفساد ما بين الزوجين يترتب عليه فساد البيوت وتفكُّك الأسر وتشتُّتها.قال تعالى:((**وَإِنِ ٱمۡرَأَةٌ خَافَتۡ مِنۢ بَعۡلِهَا نُشُوزًا أَوۡ إِعۡرَاضٗا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يُصۡلِحَا بَيۡنَهُمَا صُلۡحٗاۚ وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٞۗ وَأُحۡضِرَتِ ٱلۡأَنفُسُ ٱلشُّحَّۚ وَإِن تُحۡسِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا** ۝١٢٨)).[النساء:١٢٨]، وقال تعالى في نهاية الآية التي تلي هذه الآية:((**وَإِن تُصۡلِحُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا** ۝١٢٩)).[النساء:١٢٩]،ففي أي خصومة بين الزوجين ينبغي ألا تخرج المرأة من بيت زوجها لئلا يدخل شياطين الإنس والجن ويفسدون العلاقة بين الزوجين بإلقاء العداوة بينهما بما يزينونه من الباطل من القول لكل منهما لكي يفرقوا بينهما، والإفساد بين الزوجين أو المتخاصمين هو شأن شياطين الإنس والجن في كل زمان ومكان وذلك بالإيحاء بزخرف القول غروراً. وقد أمر الله جل جلاله بالإصلاح بين الزوجين إذا اتسعت الشقة والخلاف بينهما سواء قام بذلك أقرباؤهما أو الحاكم ومن يقوم مقامه من القضاة وغيرهم من اللجان الإصلاحية الرسمية أو الخيرية،قال تعالى:((**وَإِنۡ خِفۡتُمۡ شِقَاقَ بَيۡنِهِمَا فَٱبۡعَثُواْ حَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهِۦ وَحَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصۡلَٰحٗا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيۡنَهُمَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرٗا** ۝٣٥)).[النساء:٣٥].ولا يجوز للمرأة أن تخرج من بيت الزوجية ولا أن يُخرجها زوجها عندما يطلقها الطلقة

الأولى أو الثانية لئلا تتسع الشقة والخلاف بينهما،ولئلا يجد المغرضون والمفسدون مدخلاً لإفساد العلاقة الزوجية بينهما،ولعل الله يحدث بعد ذلك أمراً يحبانه ويرتاحان له بدخولهما وخروجهما ولقائهما ببعض خلال العدة فيرجع إليها ويراجعها،قال تعالى:((**يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحۡصُواْ ٱلۡعِدَّةَۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ رَبَّكُمۡۖ لَا تُخۡرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخۡرُجۡنَ إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖۚ وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدۡ ظَلَمَ نَفۡسَهُۥۚ لَا تَدۡرِي لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحۡدِثُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ أَمۡرٗا ﴿١﴾**))[الطلاق:١] . هذا الخلاف والشقاق إذا كان في الطلاق فما بالنا في غيره من الأمور الأخرى التي لا يخلو منها بيت من البيوت، وهذا أمر يغفل عنه كثير من المسلمين فيقع الشقاق والخلافات والخصومات وهذا ما يسعى إليه الشيطان وجنوده كل ليلة وهو على عرشه في البحر حيث ينتشرون للفتنة بين الناس ويكون أقربهم وأحبهم إليه من سعى بالتحريش بين المرء وزوجه حتى يقع الطلاق والفراق بين الزوجين، والشيطان قد أَيِسَ أن يعبده المسلمون في جزيرة العرب التي تبقى على التوحيد بإذن الله إلى قيام الساعة ولكنه رضي بالتحريش فيما بينهم وبما يَحْقِرُونَ من الأمور المنكرة. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:((**إن الشيطان قد أيس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب ولكن في التحريش بينهم**)).سلسلة الأحاديث الصحيحة. وفيها أيضاً برواية أخرى صحيحة:((**إن الشيطان قد أيس أن يُعبد بأرضكم هذه ولكن رضي بما تحقرون**)).

الإصـــلاح بـــيـــن النـــاس

الخـــطـــبة الـــثانـــية

الحمد لله يؤتي المصلحين أجراً عظيماً نعمة منه وفضلاً وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، اللهم صـــل وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد وعلى آله.

أما بعد:فمن أنواع الإصلاح بين الناس الإصلاح بين الطوائف المقتتلة من المسلمين صغرت أم كبرت في داخل الدولة الواحدة أو على مستوى الدول، واجب المسلمين السعي للإصلاح بين المتقاتلين من أجل القضاء على أسباب الفتنة بالعدل الذي يعطي كل ذي حق حقه لكي يَسْتَتِبَّ الأمنُ وتُحْقَنَ الدماءُ ويؤخذ على يد المعتدي ويكف عن الظلم والتعدي على غيره فيما بعد، ويتم إنصاف المُعْتَدى عليه، ولئلا تضعف شوكة المسلمين أمام أعدائهم وعندها يتربصون بهم الدوائر،قال تعالى:((**وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝**)).[الحجرات:٩، ١٠]، ووردت أحاديث عدة حول الأخذ على يد الظالم ونصرة المظلوم والإصلاح بين المتخاصمين، ومنها قوله صلى الله عليه وسلم في آخر الحديث المعروف:((**ولتأخذن على يد الظالم ولتأطرنه على الحق أطراً ولتقصرنه على الحق قصراً أو ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض ثم ليلعنكم كما لعنهم**)).رواه أبو داوود والترمذي، إن

مجتمعات المسلمين اليوم بحاجة ماسة إلى رجال مصلحين في شتى المجالات وللإصلاح في الخصومات خاصة يحتسبون أجرهم على الله،رغم أنهم مأمورون بذلك في القرآن الكريم والسنة المطهرة حين تبلغهم الخصومات والمنازعات والمشاجرات والخلافات التي مُلِئَتْ بها المحاكم الداخلية والدولية سواءٌ كانت تلك المحاكم شرعية أو غير شرعية، يدخلون في ذلك لاحتوائها منذ البداية والقضاء عليها وليعيش أفراد المجتمع الواحد أو المجتمعات المتعددة في حالة من السعادة والطمأنينة التي يُغْبَطُون عليها بين الأمم، وكان هذا فعل السلف الصالح إلى عهد قريب ونحن جميعاً نعرفه، وبوادر العودة إلى ذلك وتَبَنِّي فكرة الإصلاح وإنشاء اللجان الخاصة بذلك بدأت ولله الحمد والمنة عسى أن تَعُمَّ وتنتشر في مجتمعات المسلمين ويجني ثمارَها القريبُ والبعيدُ بإذن الله تعالى. ومع سرورنا بوجود لجان الإصلاح ولكن واقعها إلى الآن في بعض المدن والمحافظات لا يتعدى المظاهر وحب البروز والظهور في الصحف ووسائل الإعلام، ولذلك كانت الدعاية للمظهر أكثر من المخبر، ففي صحيفة ظَهَرَ اسْمُ ذلك المسئول عن مكتب إصلاح ذات البين في مدينة من المدن بأنه أحد الأعضاء في تلك اللجنة، ثم جاء الاعتذار له بعد أيام بأنه هو الرئيس،علماً بأنه يعلم عن مشاكل في حَيِّه الذي يسكن فيه ولا يحرِّك ساكناً ولا يعرف أصلاً طرق الإصلاح ووسائله لأن اختياره لم يكن مبنياً على الشرع المطهر بل على العلاقات الشخصية لإظهار المسئولين في الصحافة المحلية لأنه مسئول عن مكتبٍ لصحيفةٍ معينةٍ، وإذا كان هذا يُعذر لعدم علمه

وفقهه فإن الأسوأ منه ذلك الذي يلقي محاضرة يجتمع لها الناس بعنوان الإصلاح وأثره في المجتمع ثم يبلغه خلاف ومشاكل بين متخاصمين من جيرانه ولا يأبه بذلك ولا يكترث بما حصل مع علمه بوصولها للجهات المختصة وإشغال الإدارات ذات العلاقة بالدعاوى والشكاوى الكيدية فذلك ينطبق عليه قول الله عز وجل:((يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٣))[الصف:٢، ٣].

وهناك صنف آخر يظهر على أحدهم الصلاح ويظن المسلم بأنه يحب الإصلاح ولكنه يبقى في دائرة الصالحين وليس في دائرة المصلحين بمعناها الشمولي ، فعندما يعرض عليهم شخصٌ الإصلاحَ بين متخاصمين لا يزيد أحدهم على قوله: الله يصلح الشأن، الله يهديهم، ليش ما يصطلحون باللهجة العامية، أي لماذا لا يصطلحون باللغة العربية؟ مع علمه بأنهم لو كانوا سيصطلحون من عند أنفسهم لما وصلت مشكلتهم إلى ذلك الحد الذي أشغل الإدارات الحكومية، وقد يُخفي هذا الصنف في قرارة أنفسهم وسويداء قلوبهم تَشَفِّيهم للطرفين أو لأحدهما وحبِّهم لاسْتِعَارِ النار واشتعالها بينهما، هذا إذا وقفوا عند هذا الحد بل قد يسعون لإيقاد نار الفتنة ولو من بعيد بكلمات قليلة جداً ولكنها تعمل عملاً مفسداً عظيماً، فهذه الأصناف محرومة من الأجر الموعود به بل تتحمل الإثم حيث لم تسلك سبيل المصلحين بل تزيد عليه أيضاً إثم ما يتغلغل في قلوبها مما تَمَّتِ الإشارةُ إليه. وواقع المسلمين إلى الآن مُحْزِنٌ ومُخْجِلٌ ويؤسف له ولو عرف من يريد الدخولَ في الإسلام واقعَ التعامل بين المسلمين في هذا

الزمان في كثير من البلاد لما دخل في الإسلام ولابْتَعَدَ عنه نتيجة العداوة والبغضاء والمكر والخداع والمراوغة والنفاق والإفساد المنتشر بين المسلمين، إن واجب المسلمين عدم التخاذل والتكاسل والتخلي عن الإصلاح مع قدرتهم على ذلك، وقد ضُمِنَتْ حقوقُهم حتى لو بلغ الأمر بالمصلحين أن تحملوا مبالغ من المال قلّت أو كثرت في سبيل الإصلاح بين المتخاصمين ولو أنهم أغنياء، فأموالهم وحقوقهم محفوظة ولا يَغْرَمُونَ فلساً واحداً منها، بل جعل الله عز وجل الغارمين المتحملين لتلك الحمالات من ضمن الأصناف الثمانية الذين تحلُّ لهم الزكاة ويجب دفعها لهم ولو كانوا أغنياء. قال تعالى:((**۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ** ۝٦٠))[التوبة:٦٠]، فمكان الشاهد قوله تعالى:((والغارمين)). وتحل المسألة المنهي عنها إذا غرم الشخص وتحمل مالاً من أجل الإصلاح بين الناس وبذلك ورد الخبر عن سيد البشر محمد صلى الله عليه وسلم حينما قال للصحابي الجليل حكيم بن حزام وهو توجيه له وللأمة المسلمة عامة ومكان الشاهد في قوله صلى الله عليه وسلم هو:((**لا تحل المسألة إلا لأحد ثلاثة نفر**)) ـــ وذكر منهم ـــ ((**ورجل تحمل حمالة**)) فإنه يحل له ذلك حتى يصل إليه المبلغُ الذي تحمله وكان غارماً له. ثم يكف عن المسألة ولا يحل له فيما فوق ذلك من المال.فما على المصلحين بين الناس على مستوى الأفراد أو الجماعات أو الدول إلا أن يُحْسِنُوا النيةَ والقصدَ للإصلاح واحتساب الثواب والأجر من عند الله جل جلاله، ويحكموا

بالعدل ولا يَحيفُوا كما قال الله عز وجل:((إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ۝٥٨)).[النساء:٥٨]،وكما ورد في نهاية الآية المرغبة في الإصلاح قال تعالى:((وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمٗا ۝١١٤)).[النساء:١١٤]. وعلى المصلحين أن يحتسبوا أجرهم على الله لا يريدون بذلك رياءً ولا سمعةً ولا ثناءً ومدحاً من الناس ويَسْعَوْا بين المتخاصمين قَلُّوا أو كَثُرُوا بالأخبار السَّارَّةِ ينقلونها ويحملونها إليها للجمع بين الأطراف المتخاصمة حتى لو استدعى الأمرُ الكذبَ الذي ورد السماح والترخيص فيه في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لجمع الشمل والتفاف المسلمين حول بعضهم بعضاً.وقبل ذلك كله يعرف المصلحون أسباب أي مشكلة أو فتنة أو قطيعة ليقتلعوها من جذورها،ويتعرفون أيضاً على الأسباب والدواعي والدوافع من كل طرف على حدة ويناقشون فيما أشكل عليهم فهمُه أو تَـــنَاقُضُهُ وكأنَّهم مُحَقِّقُون رسميون ويَدْرُسُون نفسيات الطرفين ومُرَادَهم،ويجتهدون في ذلك ويفرّغون أنفسهم ساعات وأياماً وليالي بل قد تصل إلى الشهور، ويصلحون بينهم صُلْحَ العقلاء وكبار السن وليس كالصلح بين الأطفال وصغار السن والمراهقين. إن أي مصلح كائناً من كان ينبغي له أن يعرف طرق الإصلاح ويسعى بكل رَوِيَّةٍ وإخلاصٍ يقول الحق ويصدع به ويحذِّر من العواقب الوخيمة عند الاستمرار على الباطل وما ينتج عنها لا يحابي ولا يجامل ولا يداهن، إخلاصُ النيةِ والقصدِ دَيْدَنُهُ، وهدفه ابتغاء مرضاة

الله، ولن يحوز على الأجر العظيم الموعود به من رب العالمين إلا بالإتيان بالشروط السابقة مع التفرغ الصادق في الوقت، وليس كما يفعله بعض المصلحين من وقوفه في أي قضية خمس دقائق ويقول أنا ورائي أعمال وأشغال إن اصطلحوا وإن رفضوا فما خسرت شيئاً، بل عليه أن يفرّغ عقله وقلبه وفكره للاستماع والإنصات والمناقشة والتعرف على القضية بكاملها ومعرفة الحق من الباطل وعدم التشاغل بما يصرف ذهن المصلح خاصة عند سماع كلام أحد الطرفين أو كليهما ثم الحكم الموافق للكتاب والسنة وليس الموافق للهوى والعصبيات والعادات الجاهلية لأن حكم المصلح قد يكون مُلْزِماً خاصة فيما بين الزوجين إذا نَدَبَهُ القاضي للإصلاح بينهما. ورد عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذا بعث حكمين للإصلاح بين الزوجين ولم يصطلحا أنه يَعْلُو الْحَكَمَيْنِ بالدُّرَّةِ، لفهمه رضي الله عنه من إرجاع الضمير في إرادة الإصلاح إلى المصلحيْن والحكميْن وليس للزوجيْن،وهذا مفهوم واضح للفرق بين إِصْلاحاً واصْطِلاحاً وتَصَالُحاً مع احتمال الْمَعْنَيَيْنِ،ولكنه الحرص منه رضي الله عنه في الإصلاح بين الناس،كما قال عز وجل:((**إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا**)).[النساء:٣٥]. ومما يندى له الجبين حال بعض المصلحين أمام الناس المفسدين في الخفاء وهو الفرح بتلك الخصومات والمنازعات حيث يوقد أحدُهم نارَ الفتنة ويسعى للتحريش بين المتنازعين ويُحَرِّضُ على النزاع والشقاق ويُلَــقِّنُ كل طرف ما يتَّخِذُهُ من الباطل والحيل الشيطانية ضد الطرف الآخر زاعماً الإشفاق

والمحبة والإخلاص، فذلك من حزب الشيطان وجنده الخاسرين،وقد يكون ذلك طبعه وخلقه عند عدم وجود النية الصالحة، وقد يكون قصده حسناً وقلبه صافياً ولكنه لا يعرف ما يُقَرِّبُ فهو يسعى بما يُبَاعِدُ فلا يَصْلُحُ للإصلاح كُلُّ أحد، ولا يُوَفَّقُ له كل من سعى وتظاهر بالإصلاح فقد يسيء ويباعد من يريد الإحسان والتوفيق بين المتخاصمين بأسلوبه البعيد عن الطرق الشرعية والحكمة المرعية والحالة النفسية، والأسوأ من ذلك الذين يسعون للتحريش والإفساد لإيجاد المشاكل بين الناس أو التحريض وإيقاد نار الفتنة وصَبِّ الزيت على النار كما يُقال قديماً،وحديثاً صَبّ البترين على النار، والتمتع بمناظر الصراع والفتن في المجتمع، وقد يفعل أحدهم فعلته الخبيثة بقول أو فعل ويلصقها بفلان من الناس أي أنه يقتل القتيل ويمشي في جنازته، وهذا أمر ملموس وواقع في المجتمعات المعاصرة، ولكن الواجب التَّـــنَبُّهُ لأولئك المفسدين، ثم على من نُقل إليه عن أخيه المسلم أو أُلْصِقَ به تُهْمَةٌ للإيقاع بينهما أن يتثبت ويصل إلى حقيقة الأمر بدلاً من الظنون والشكوك التي سعى بها بل عملها المفسدُ بنفسه للإيقاع بين الجارَيْن أو المتحابَّيْنِ المتوادَّيْنِ وإن كانا بعيديْنِ في السكن، فهذه الأعمال الشنيعة الشيطانية منتشرة في المجتمعات، فيجب أَخْذُ الحَيْطة والحذر من هذه الجراثيم القاتلة في المجتمع.ويكون الخلاص منها صعباً إذا تُرِكَتْ فسوف يَسْتَفْحِلُ أمرُها ويَعْظُمُ شَرُّها.قال تعالى:((**إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝٦**)).[فاطر:٦]، وقال عز وجل:((**وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُواْ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ**

ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾)).[الإسراء:٥٣]، ولو أن كل قرية أو مَحَلَّة أو حَيٍّ من الأحياء في مجتمعات المسلمين عَيَّنُوا مجموعة من أهل الصلاح والخير يقومون بحل الخلافات والنزاعات في بدايتها وأول مراحلها وعندما تظهر أيضاً على الساحة وفي أي مرحلة من مراحلها الأولى أو الأخيرة، لو يقومون بذلك لانتهت كثير من القضايا والمشاكل التي ملأت كل إدارة ذات علاقة أو بقيت في صدور أصحابها تغلي بها نفوسهم وقلوبهم. وذلك بعد توفيق الله عز وجل للمجتمع مع أن هذه الدعوة التي دعا إليها أهل الخير منذ عشرات السنين بَدَتْ بَوَادِرُهَا في بعض المدن والأحياء ولله الحمد وعسى أن تعم مجتمعات المسلمين بإذن الله عز وجل وتوفيقه. وصلى الله وسلم وبارك على رسولنا محمد وآله ورضي الله عن الصحابة أجمعين.